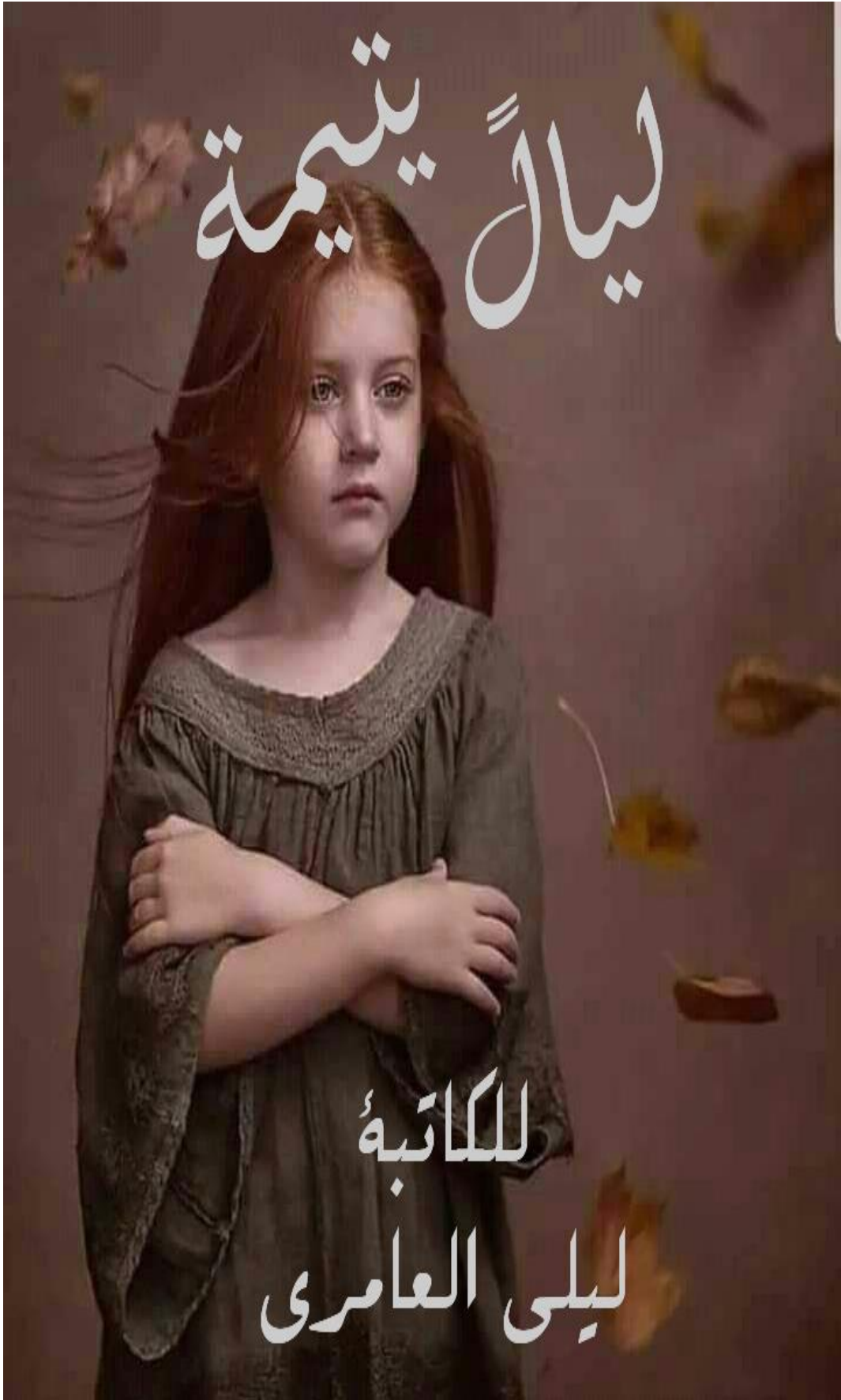


ليلاً يتيمّة



للكاتبة
ليلى العامري

لِيَالِ يَتِيمَةٍ

رَوَايَةٌ

لوحة حزينة من صميم الحياة ، من
رحم المأساة ، بين تلك الجبال
الشاهقة والوديان السحيقة ، ولدت
فرأت نور الظلمات بين تلك التلال ..
التقطت أحداثها من بحر الذكريات ،
جففتها بمنديل دموعي

وأنمتها بين أوراقى ، في سطور
تحكي هول المأساة وألم المصاب .
غلقت كلماتي بالآهات وأخرجتها من
الأعماق ، حارة ملتهبة ، بل تكاد
تشتعل ، فحتى

أقوى وأعتى الرياح لم تطفى لهيب

الأوجاع بين جوانحي .

ومع مرور

السنين ومجريات الأيام .. وضعتها

بمتحف الزمن .. عبرة بالغة لمن

أراد الاعتبار .

...

رسالة الروائية..

قصة من عمق الواقع ممزوجة
بقطرات من الخيال تحكي ماض
سحيق عاشته الطفلة هديل في إحدى
الأرياف اليمنية..

بعد إن طلبت مني هديل سماع
الحكاية حتى النهاية حاولت جاهدة
الغور في أعماقها وانتشال رسالة
منها .. إلى الذئب البشري الذي
لايعي فداحة الأخطاء التي يرتكبها
بحق الطفولة والإنسانية .

ورسالة أخرى أوجهها إلى الأهل ..
الأسرة.. التي أو الذين يرمون أطفالهم
كمخلفات في الشوارع دون أن
يتذكروا أنهم موقوفون للسؤال عنهم
ومحاسبون على إهمالهم وأن أطفالهم
أمانة في أعناقهم ..

في خضم هذه الرواية استوحيت
الواقع فألهمني تسطير أحداثا واقعية
حاولت سرد واقعها الأليم الذي
لا يرى بالعين المجردة .. رواية
تحمل في طياتها بشاعة الجرم
الإنساني لانتهاك حرمة الأطفال ..

جمعت فيها عن الآثار والعواقب
الوخيمة للضحية أيا كانت .

وفي قلب الأحداث المحزنة لهذه
الرواية سطرت كلماتي عبرة لمن
أراد الاعتبار .

...

ليلى العامري

التعبير عن المشاعر قد يؤلم أحيانا
والكتمان ألمه وقسوته تبقى على مدى
الأزمان...

...

معاناتنا مكتوبة مسبقاً ، نحن هنا
لتجسيدها فقط.

البداية

* *

تروي هديل
على سفح الجبل

...

وإِ سحيق تتأثرت حوله مرا ع كثيرة
لتلك الأغنام و جبل شاهق على سفحه
صخور صماء وشقوق وحفر ..

أعدت الاختباء بين تلك الشقوق
وتسلق تلك الصخور لأسرق القليل
من الوقت .. لقراءة كتاب , فكم كنت
شغوفة بحب المطالعة وقراءة الكتب
.. ورؤية العالم الخارجي بين

السطور و الأوراق .. بالرغم من
إنني لم أكمل في دراستي حتى

الابتدائية .

وفي عصر يوم ما .. هناك في قمة
الجبل هالني منظر الغروب ..
بخيوطه الذهبية التي صافحت بكل
هدوء قمم تلك الآكام والتلال البعيدة
في منظر حزين يبعث الحزن والبكاء

.

ومن البعيد في الشعاب المتعرجة ..
كان فتى يقترب مباشرة صوب الجبل
يصعد السفح ويرتقي تلك الصخور
حتى بلغ القمة وما إن وصل حتى
افتتحة عن ابتسامة عريضة
أخذت مجامع قلبي من الفرح

والدهشة ما إن وصل قال بنبرة

الفرح:

السلام عليكم هديل .

كان قد وقف إمامي

ووقفت أنا لأرد عليه

التحية..

_ وعليك السلام يا عصام حلت أهلا

ونزلت سهلا .

_ ظننتك نسييتني أولم تتذكريني, إنك

تحملين ذاكرة قوية يا هديل .

نظرت إليه هديل نظرت إعجاب ..

تحمل فيها كل معاني الحب .. فهو

بالنسبة لها ماض وحاضر وربما
مستقبل .

صوت عصام أيقظها من شرودها .

_ كالعادة تقرئين .. فأضافت
بابتسامة حزينة وعينها تجول في
الفراغ.

_ وكالعادة أرعى الخرفان فلا زلت
هديل كما أنا وبالنسبة لك أصبحت
شيئاً ياعصام فلا مكان لك في حياة
الأرياف بشهادة البكالوريوس اليس
كذلك .

جلس عصام على الصخرة القريبة
منه , وجلست هديل بعيدة عنه
باستحياء فأشار إليها بأن تقترب ..
خيوط الشمس الذهبية صبغت وجهه
الجميل بأنفه البارز وخديه المحمرين
من جراء التعب في تسلقه الجبل
وعينان زر قاويتان صافية وشعر
أسود وكتفان عريضان .
وبينما هي غارقة في تأمل ملامحه
بعد إن عاد إليها من غيبة طويلة
حتى .

فاجأها بسؤاله :

_ لم أرى هموم الزمن القاسي يرسم
ملامح وجهك الجميل ياهدیل .

** أجابته بحزن:

_ أحياناً يا عصام .. أتمنى لو أن
الخراف أنا و أنا هي .. فقلبي المتعب
أثقل كاهلي ولم أعد أحتمل . تحدثت
هدیل وكأنه تخاطب روحها الضائعة
منذ زمن .

غابت بعالم من الصمت محدقة
بالسماء تصدر من أعماقها تنهيدة
تكاد معها تلفظ أنفاسها الأخيرة .

بدا الوجوم على وجه عصام ..
والتقت عيونهما بصمت فكان
الصمت حينها هو سيد الموقف .

**

_ هناك شيء ما ياهدیل .. لم أدرِ
كنهه .. لیتني أغوص في أعماقك
لأرى بوضوح ما الذي یعتمل في
داخلك .

_ ستبتعد حالما تسمع مني ألمي
فمصابي قد ترك في أغواري شقا
لايرمم مع الأيام .. ولاینسى مع
مرور الزمن .

تجهم وجه عصام وصار وجهه
يحاكي الموتى فقال بجهد واضح:
أحب أن أعرف .. واعدك أن أقف
إلى جانبك مهما بلغ المصاب أو
عظمت المصيبة .

_ وما حاجتك لأن تسمع ماضٍ لن
يتغير أو يتبدل .

تمتت هديل في داخلها :

لا أريد خسارتك يا عصام بالرغم من
أنني لن أستطع أن أكسبك .. لم
أنتظر عودتك فأنا لست لك

ولكني لا أقوى على تجرع نظراتك
لي لو أنك لم تصدقني كما توهمت

من قبل وأقفلت على أبواب الحكاية
في داخلي ولم أتشارك السر حتى مع
أمي .. مابالي الآن أتراجع وأظن أنني
لا أستطيع رفض طلبك مابالي الآن
أنوي أن أحكي وقد مر على الحكاية
ما مر من سنين ..

صوت عصام ينتشلها من صراعها
مع نفسها .

_ ربما أستطيع أن أعالج بيدي هاتين
ما أفسده الزمن هيا يافتاة الوادي
لا تترددي.

تبسمت هديل بسخرية وقالت :

_ عن أي إصلاح تتحدث يا عصام ..
لا تستعجل الكلام فإنك واصل إلى
الحكاية , شدني كلامك وإصرارك
القوي وأسرنني .. فشجعتني على
الاسترسال في الحديث والعودة
بالزمن عشرة أعوام إلى الوراء وليته
لم يفعل ...

اقترب عصام من هديل واستطاع نيل
ثقتها كما فعل من قبل .. حمل كفيها
بين يديه , ولم تعارضه , فليس سواه
عصام صديقها .. صديق الأيام

الماضية وصديق الطفولة الغادرة،

هو الجميع بالنسبة إليها .

مالت هديل برأسها على كتف عصام

وغابت تحدث أفكارها :

_ لقد أخفيت عنه حكايتي زما طويل

, حاولت

الاحتفاظ بالصورة الكاملة لي تجاهه

وإن كانت تلك مجرد ظل أو قناع

مزيف .

مالت الشمس للغروب أكثر .. وبدا

الليل يستعد بظلام دامس , جحافل

من الظلام والقمر في هذا الشهر من

العام في فصل الصيف هي من تكسر
جحافله وتشتت جنوده ويحرسها من
الظلام نجوما في لياليه .. مبعثرة بين
السماء الواسعة لتتشكل أجمل لوحة
فنية وهبتها السماء لأبناء البشر .

— أنها السادسة مساءً يا عصام وعلي
العودة إلى المنزل فلا أظن الوقت قد
يكفي لسرد قصتي .

قال بإصرار :

سيكفي إن أردت .. أحتاج إلى
سماعها كما أنت محتاجة للبوح .
لذلك ابدئي فحسبك أعذاراً ياهديل .
قالت بنبرة حزن بدت على صوتها .

_ حسبك مافات وانج بنفسك مني .
_ ماذا هنالك يا هديل .. فقد عذبتني .
_ لم أستطع دفع البلاء . وكان لزاما
علي العيش وأنا احمل السر الدفين ..
فلا حياة تسر ولا موت يأتي يريح
ونسريح .. ومع آخر كلماتها
أجهشت بالبكاء وهو ينتظر المزيد ..
"بات اليوم عندي كالأمس .. والأمس
كالיום واليوم لأوجه له ولا صورة ..
والمستقبل وجهان لعملة واحدة هو
العذاب ياعصام ... العذاب "

_ بوحى بما فى داخلك . ليموت مع
آخر خيوط الشمس الغاربة وأعاهدك
بالكتمان .

_ إن العمر يمضى والساعات .. ولا
أملك من العمر سوى حكاية
وتريدنى أن أسكبها دفعة واحدة
أمامك وقد فات الأوان على
المساعدة يا عصام .

زوى ما بين حاجبيه وقال بيأس .

_ أرجوك يا هديل .

ساد الصمت قليلا ثم قالت بتردد :

_ ما الذى تتوقع أن أخبرك به , هل
تظن أنى سأحدثك عن حب فى عمر

المراهقة أو عن حلم بارتياح السينما
أو إنك تظن أنني راغبة في التجوال
بالمطاعم الفاخرة وحرمت كل هذا ..
ماذا تظن أنني قائلة أو مخبئة .. إلا
أني سأتكلم عن الماضي وعن هديل
البائسة .. أيام ولحظات دامغة ,
ماضي لن تغيرها الدمع أو الضحكات
المرتلة ..

صمتت قليلاً ثم أردفت ليكن ذلك
غداً يا عصام .
_ سأنتظر .

أصابها الندم على بوح المشاعر لم
تعد تدري ما الصواب في الأمر ..
تمددت على سطح منزلها تحت ضوء
القمر .. ليلة قمرء والبدر يتوسط كبد
السماء , والنجوم تلمع في سماء
سوداء كأنها الحلم .. ياله من منظر
جميل ولكن أي حزن يبعثه المطر
وذكرى اليوم تتردد بتفاصيل محكية
بداخلها فأخذت مذكراتها وبدأت تغزو
أوراقها بسيل من حبر القلم كتبت
فيها :

كنت أتملى خرائط المطر على
الوراق الشجر وأتابع غياب الشمس
في أعلى الجبل فجاء هذا البشر ,

فهل أبوح بالسر انتقاما .. أم انتقم
بالكتمان من نفسي .

وفي اليوم التالي

وقف خلفها يرتدي معطفا أسود و
وشعر مبلل بفعل المطر .. ابتسامته
متكلفة ترسم وجهه , دارت إليه
فأصبح أمامها , بعد غيبة طويلة من
الزمن عاد فارضاً عليها أن تحكي له
أيام قضاها في غربته وقضتها هي
في الاعتناء بالخراف كما كانت عليه
أثناء وجوده , شكلت هجرته قطيعة
بينهما ففقدت الرغبة في الحديث

وأصبحت أكثر ميلا للاختباء
والتواري عن أعين البشر .
هربت منه إلى شرنقة المنزل
وسكبت كل طاقتها في الكتب تقرأها
بنهم وتجاهر بما تقرأ حتى لا تنصت
للضجيج الذي بداخلها , فصوت
أفكارها

واضطراب مشاعرهما لأمجال
للاقتراب منه ..

انتهى الأمر وقد أصبح من
الضروري أن يظل بعيدا عنها وإن
جمعتهم قرية واحدة .. فهو في
الأخير رجل والرجال صنف واحد

(ذئاب بشرية) برغم يقينها بأن

عصام ليس منهم .

كانت تفتقد أنامله تلاعب ضفائرها

وهي طفلة على سفح الجبل .

رغم ذلك كانت دائما ماتردد (أنا في

الحقيقة لم أشعر يوماً بأنني مجبرة

على روايتها وسردها على مسامع

الآخرين ، لكن ! ما فكرت به حينها

أن أبعد عصام عني ، أنا لست

الشخص المناسب له ، أنا لا أستطيع

أن أشارك أحداً بهذه الحياة ،)

لذا كان لزاما عليها أن تستأصله منها

كعضو ينخره السرطان ، أن تجهضه

من داخلها كطفل غير شرعي يسكن
رحمها . كم أرهاقها الاختباء
والتواري .. ولكن من أجله ستبتعد
حتى لاتفقدته هو الآخر ويظل بقربها
كصديق .

...?

لا تلمني فيما لا تعلم.. ولا تعتب علي
فيما لم تعشه

قادتني قدماي بخفة إلى جبل اللقاءات
المباحة , حيث كنا ندرس سويا ..
نتشارك فتات الخبز .. كانت تحدث
نفسها حين عرفت لو هلة بأنها على
سفح الجبل .. حيث كانت تجلس على
الصخرة , ضحكات مسروقة
تخرجهم من ألم الحياة وقسوتها ..
ذهبت هذه المرة ليس للمرعى ..
تركت كل شيء لتذهب وحيدة ..
لتستعيد الماضي وتوادع اللحظات
وتدفن الحكاية . وقفت لساعات
والدموع تبلل الحصى المتناثر حولها
كرذاذ يوم ماطر .

أحست بالوحدة .. برغبة إلى صدره
.. ليضمها إليه .. أن يموت الماضي
فلا

ذنب لها أن تُحرم منه .. فقد شدتها
المشاعر نحوه فباتت تردد، أحتاجك
يا عصام ربما كصديق أو كقلب
يحتويني .. روح شخص تلامس أبعد
نقطة في روعي .. أن تنتشلي من
هذا الضياع وتفك قيدي .

وقفت على أطلال الماضي لترثي "
هديل " ترثي روحها الضائعة ..
فروحها لم تعد تسكنها غير الأشباح

.. خائفة هي روحها التي كان ذنبها
أنها مازالت طفلة صغيرة .

" خلت إني لن التقى به ثانية "

لو هلة حدثت نفسها .

لم تجمعني الصدفة به اليوم, لم يتعمد
لقائي كما يفعل .. ربما مل من
سماعي , ربما بهت لون الماضي
الجميل بعينيه فقرر أن يبتعد تاركاً
خلفه مأساتي .. لم يجب أن

أحزن وأنا من طلبت ذلك .. لم
تتجول عياني في المكان بحثاً عنه
؟.. لربما إن عاد من أجلي أصر
على صمتي ..

تسللت الجبل نزولاً ليظهر عصام
فيحصرها بين صخرة صماء وشجرة
ظلال أوراقها لا تكفهم معاً.. تنظر
عينيه وتحاول السيطرة على

إنفعالاتها .. لأجدوى للهرب هذه
المرّة .. وهاهو يغرقها بنظرات
حانية .

"حادثة تجعل من الغرباء أصدقاء ..
وأخرى تقرر أن تجعل منهم أعداء "
هكذا بدا الكلام قبل أن توجه إليه
التحية , تحية اللقاء المنتظر فاستأنف
حديثه كمن يحدث نفسه بعد إن
استدار متفادي النظر إليها ..
_ مرت السنون ولا زال الألم
بداخلي يحفر ويحفر .

لم تفهم عن أي ألم يتحدث .. ظننت
بأنه ثمل .. أو أن مكروه قد أصابه
خلال غيابه عن القرية .

لكن لم يبدو لها كذلك ..

اقتربت منه فنظرت الدمع يكاد
يغرق عينيه كأن عصام قد أتضحت
له الرؤية وعرف هول المأساة وألم
المصاب وما يريد إلا توضيح صغير
فقط .. ليموت ألف مرة وهو حي ..

فقال بصوت متردد خائف محاولاً
بدء الحديث بشي مختلف فقد لحظ
هروبها المستمر ومحاوله منه في
استدراجها بالحديث .

_ نلت شهادة

البكالوريوس بتفوق .. وعدت ..
عدت لأخدم أهل قريتي ألن تباركي
لي وترحبي بعودتي ..

قال جملته الأخيرة بنعمة فرح
وضحكة مزيفة عليها تبادلته الضحك
المزيف .

_ سررت بلقائك.

لم تبتسم فحسب بل
وأصبحت أجوبتها مقتضية .. ليس
معه فقط بل مع

الجميع .. فلکم كانت تعشق من
الحوارات تلك التي تجريها معه ..

وتكره الثرثرة مع غيره .. فما عانتة
في حياتها لم يكن بالقليل .. صمت
قليلاً ملمماً أفكاره ثم قال :

— عشت في المدينة فراغا كبيرا
افتقدت من خلاله هواء القرية
وترابها , سهولها ووديانها , شيوخها
وأطفالها .. صمت قبل أن يضيف ..
وافتقدتك أنت أيضا يا هديل .

أتوسل إليك أكملني

تفاصيل الحكاية لكي أعيش فقد
أعرف السر الكامن وراء حزنك ..
وأجد علاجاً لذنوبك كبير يغزو
ضميري ويعذب وجداني ويجلد ذاتي

تهدج صوته مع آخر كلماته وسقطت
دمعة حاول السيطرة عليها وأكمل
بحزن :

_تعالى يا هدى إلى أعلى الجبل ..
نستقبل قبلة الشمس ؛ لنبقى معا فمنا
عدت وأنا الحظ نفورك وانفعالاتك
كلما التقينا أو اقتربت منك أحسست
لوهلة بأننى عدو .. اجيى أسئلتى فقد
تعتقن روى المضمحلة فى الوحل
.. وتنتشلىن كرامتى من القعر
وأعشى كإنسان

هو ذا الجبل يستقبل زواره بحضن

دافئ

جلسوا إلى إحدى الصخور فبدأت
هديل حديثها

- لا تتسرع في حكمك علي فلست
مذنبه ولا جانية

لكن عبارات البداية ثقيلة جداً علي
إنها ترهقني كثيراً !

- أبدو من حيث شئت أنا أسمعك .

- حسناً يا عصام سأروي ، شريطة
أن لا تلتقي أعيننا أبداً أثناء حديثي .

- أعدك بهذا .

تنهيدة ثانية قبل أن تبدأ هديل في
جرد ألامها وعصام مائل بسمعه إليها
دون حراك

بدأت تروي الحكاية بصوت باك
ووجه شاحب يحكي مع كلماتها
عذابات البوح وألم الكتمان .. بدأت
تلوم نفسها ربما يكون البوح أيضا
هو جريمتي والخطأ الأخير .
بدأ صوتها مسموعا وهي تقول :

- أنا يا عصام قد خلقت كهيئة البشر
ولست أشبههم في شيء، على صورة

الموجود والمحسوس ، إن عرف
الناس سري فلن يعذروني ولن
يغفروا لي ، مع أن الخطيئة سبقت
الغفران ، والذنب ليس ذنبي ، لكن
صمتي كان الجاني.

ليتني كنت مذنبه حرمت العفو ، إذ
ما كنت آسى ولا آسف.

أنه ليعز على الإنسان أن يتخلى عن
مألوفة ويتخلى عنه مألوفة ، لكن أن
يتخلى عن أجزاء من جسده أخذ
بالقوة ولم يخير في أخذه ، هذه تبقي
مرارته طوال حياته.

مقتبس. ""

"أن الحياة سلسلة من الحنين متصلة
الحلقات ، أن كان المرء في مرحلة
الشباب حن إلى طفولته ، وأن سلخ
الشباب عاد فحن إليه ، ولو كان
هناك مرحلة بعد المشيب لحن إليها
أيضاً." إلا أنا .. لا أحن لماضي ولا
أتوق لمستقبل وبينني وبين الحاضر
فجوة لا تملأ.

الكلمات تختلج بداخلي ، لكنها لاتجد
السطور ، البوح ثقيل والوقت قصير
والعمر يمضي وأنا أحتاج لثناء.

وما أحوجني لثائك علي يا عصام.
أنا في ذعر من نفسي، وهلع ممن
حولي ، لا أجد الأمان من أبي وأخي

ولا ألتمس الحنان الكافي من أمي ،
ولم ترحمني المخالب عندما غرزت
في جسدي, أنا وردة ليس يحميها
شوك ، زهرة لا يحوطها إناء ، أنا
عصفورة منفردة في فضاء فسيح ،
فليتني ماكنت أنا..

أخرجت آهة كبيرة من داخلها
فأسندت ظهرها إلى إحدى الصخور
فتهدل شعرها الأسود على كتفيها
بفعل الرياح .. وأخذتها نوبة بكاء
هستيرية ... فربت على كتفها وأخذ
بيدها ليحوطها بكفيه الحانيتين .

تكمل هديل..

**

_ نبتتني الحياة وأنا طفلة بريئة ..
وحملت مشكلة لا حل لها سوى
الموت .

صمتت قليلا تزدرد ريقها , وعصام
لم ينطق بل تسمر في مكانه فصار
وجهه يحاكي الموتى , فأكملت بعد
برهة وجيزة :

—
كما تعلم أنا أصغر أفراد عائلتي
(آخر العنقود) كما يقولون ، عن
أخت واحدة تكبرني وأخ واحد أكبر
منا وهو الوحيد بين أختين.. لم يكن

مرحب بي فقد كانت الرغبة في
الحصول على الذكر وليس الأنثى ،
ما أن عرف والدي نتيجة الحمل
وإن ماتحمله أمي في أحشاءها هو
أنثى هاج كالثور وجن جنونه ، لقد
حاول إرغام أمي على الإجهاض
لكنها رفضت بشدة ، فمهما يكن هذه
روح تسكن روحها ،

ويا ليتها لم تتمسك بي وأعفتني
من هذا العناء ومن عبء الحياة ،
لكن القدر وقف وقفة الأمر لإتمام
حضوري .

وهنا لم تعد تستطيع إكمال الحكاية
وقرص الشمس اقترب أكثر من

الجبال ليتوارى خلفها فقالت والدموع

في مآقيها :

_ سنكمل غدا .. وإن غداً لناظره

قريب .

لم تكن صديقي بقدر ما كنت
ملتصقا بجوار قلبي *

**

أتيت إلى هذه الدنيا ولن أصف لك
حضورى ، لأنى لا أعلم هل أتيتها

أبكى أم أن الطبيب اضطر إلى
صفعى عدة مرات كي أبكى .. لا

أتذكر نعيم الرحم .. ذلك

الكهف الصغير فى جوف أمى ، ولا
أع جحيم اليوم الأول بعد ولادتى .

أتذكر فقط البداية ..

من حقي أن أتعلم

عندما بلغت الرابعة من العمر بدأت
تراودني فكرة

الالتحاق بالمدرسة .

أخبرت أمي برغبتي فوافقنا على الفور وذهبنا سوياً إلى المدرسة ، لكن ! عندما قابلنا المدير رفض التحاقني بالمدرسة لصغر سني ، كنت عنيدة ورفضت العودة إلى المنزل مالم يتم قبولي ، حاول المدير أقناعي فطلب مني أن أرف ذراعي حول رأسي لتصل إلى أذني في الجهة الأخرى ، حاولت فعل ذلك لكن عبثاً كانت محاولاتي. هي لا تتجاوز إلا نصف رأسي فقط ، شعرت بأن حلمي تبدد ، حملت خيبيتي الأولى

وأدرت ظهري مودعة سور المدرسة
إلى لقاء آخر .

وفي طريقنا إلى المنزل التقينا
بصديق والدي ..أسمه صالح ، رجل
صالحَ فعلاً ، في منتصف العمر
تقريباً ، تبادل وأمي التحايا وعرف
منها عن رغبتني في التعلم وكيف تم
رفضني في المدرسة ، مسح بيده على
رأسي وطلب منا اللحاق به فهو
سيتولى امر إقناع المدير بتعليمي ،
كانت فرحتي غامرة ، مضينا سوياً
إلى المدرسة ، سلّم على المدير وبدأ
محاولة

إقناعه ، بينما كنت أقف أنا وأمي
على بعد خمسة أمتار ، نراقب
الأحداث عن بعد ، كنت موجهة
ببصري إلى وجهة المدير تماماً ،
أراقب تقلبات ملامحه ، محاولةً التنبؤ
بخبر يسرني..

وفعلاً ! تبسم المدير وأشار إلي
، ذهبت مسرعة إليه أكاد أطيّر فرحاً
، ما إن وصلت حتى سألني عن
أسمي ، أجبته بسرعة .

- اسمي هديل .

قال لي وابتسامة تزداد اتساعاً : هل
تحبين المدرسة يا هديل ؟

أجبت بلهفة ..

- نعم أيها المدير ، أسمح لي أن
التحق هذا العالم بالمدرسة ، أنا لا
أطبق الصبر حتى العام القادم ،
أرجوك .

ضحك بصوت مرتفع وقال لي أنتِ
منذ هذه اللحظة طالبة بهذه المدرسة
أيتها المشاكسة الصغيرة.

ركضت باتجاه المنزل ونسيت أن
أشكره أو أشكر صديق والدي العم
صالح ، نسيت
أمي داخل المدرسة.

إنه الشعور بالسعادة يجعلنا نحلق
بعيداً ، بعيداً جداً عن جميع الكائنات .

دخلت المنزل سعيدة ، منتشية ،
محلقة كالعصافير في السماء البعيدة .
كان والدي يجلس أمام التلفاز وأختي
رباب وأخي محمود يجلسون حوله ،
لا

أحاديث بينهم ولا ضحكة هامسة ،
أن والدي شديد التعامل حاد الطباع ،
ملامحه تخلق الرعب في عين
محدثه .

نسيت هذا كله أو أنني تناسيته ، وقلت
بصوت مرتفع .. لقد تحقق حلمي يا
أبي وقد تم قبولي في المدرسة .
لكني لم أر أي ردة فعل منه ومن
أخوتي ، إنهم جامدون كالتماثيل ،
شعرت فقط بنظرة شفقة تتسلل من
عين أختي رباب .. ونظرة ساخرة
من عين أخي محمود تشيِّ بنوع من
التوعد العنيف .. لكني لم أعطي لهم
بالاً وتوجهت

إلى غرفتي ، كنت أحدث نفسي ..
لما عليهم أن يفرحون من
أجلي ، أنا من سيتعلم وليس هم .

كنت على يقين من أن والدي لن
يساعدني بتكاليف المدرسة ، سأتحمل
التكاليف كما تحملت أختي رباب من
قبلي فهي لم تكمل في تعليمها سوى
المرحلة الأولى ولم تصبر على
العناء الذي كلفها به والدي .

أبي كالعادة يتقاسم المال الذي يحصل
عليه من الأراضي الزراعية التي
ورثها عن والده مع

أخي محمود وجزء منها يذهب في
شراء الخمر الذي كان يجلبه أحد
أصدقائه من المدينة نهاية كل أسبوع
ويجعلنا عائلة على أمي ، تخدم في
بيوت القرية و ترعى الأبقار

والأغنام ، تبتاع حليبيها وتشتري
بذلك المال مانسد به جوعنا ولا أنسى
أن لوالدي نصيب من المال الذي
تحصل عليه

أمي ، يأخذه رغما عنها، وهي
بدورها تعطيه دون جدال خوفاً
من هيجانه.

جلت ببصري في أنحاء الغرفة أبحث
عن أي شيء يصلح للدراسة لكني لم
أجد سوى وجه أبي الغاضب بعد أن
تشكل الرقم إحدى عشر بين عينيه .
قال لي بنبرة غضب ..

- كبرتي يا هديل وذهبتى للتسجيل
دون علمي ، صرخ في وجهي ،
وأبرحني ضرباً ولم يتجرأ أحد من
أخوتي على الاقتراب والدفاع عني .
سمعت أمي صراخي وهي ما زالت
في الخارج فهبت لنجدتي ، ركعت
أمامي وبدأت تتلقى الضربات نيابة
عني ، بقينا على حالنا تلك إلى أن
فرغ والدي منا ، لم تقل شيئاً ، بقيت
صامتة لا تتببت ببنت شفة ، وعندما
شعر والدي بالتعب قال لي الآن
تستطيعين الذهاب إلى المدرسة لكن !
بعد إن شوه وجهي ، ركمني عدة
مرات قبل أن يغادر ثم خرج رافعاً

رأسه وكأنه فرغ من أداء دور
سينمائي عظيم نال مقابله جائزة
الأوسكار في التمثيل ، وكانت هذه
أول مرة يضربني بها والذي
ويضرب أمي لكنها لم تكن الأخيرة
يا عصام فما زال يمارس عنفه ويتأكد
من سلامة عضلاته فوق أجسادنا
حتى اللحظة .

حضنتني أمي ونمنا من شدة الألم
حتى صباح اليوم التالي على أرض
غرفتي .

كان أمل أمي بي كبير , سأتعلم
واكبر وأحررها من قبضة والدي ..
باتت تردد أنها هديل ابنتي أقوى
وأصبر على تحمل المسؤولية ..
اصبري يا هديل فما عسانا نفعل
سننتصر بلا شك , لكن دون جدوى
كانت تلك الادعاءات التي صدرت
عنها , فقد فشلت في كل شيء حتى
في المحافظة على نفسي .
لقد كنت أتحمل ، كنت قوية يا عصام
..قوية جداً ، أما الآن فلا ، أنا

أُتصنع القوة كي أتماشى مع الحياة ،
وفي الحقيقة أنا هشة جداً من الداخل،
هشة جداً ومتعبه .

تسلل نور الشمس من نافذة الغرفة
ليداعب وجهي الجريح ، وجسدي
الطريح، استيقظت وأيقظت أمي ،
وسرعان ما تذكرت أحداث البارحة
حتى بهتت ملامحي وتسرب اليأس
إلى قلبي وتلاشت فرحتي .

رأت أمي ملامح الحزن ترسم على
وجهي فقالت لي :

- لا عليك يا ابنتي تكاليف الدراسة
عليّ ، هيا يا هديل أذهبي وتعلمي ،
عندما تكبرين ستحررينا من جحيم
والدك لاتيأسي يابنتي .

لم أسأل أمي حينها لماذا ضربنا
والدي ، لم أشاء ذلك ، فقد كنت على
يقين بأن هذه ماهي إلا البداية وعليّ
أن أستعد لما هو قادم ...

وقفت بتثاقل ، غسلت وجهي
وارتديت ملابس الرثة ، وأخذت
كيس بلاستيك .. وضعت بداخله قلم
مكسور ودفتر أوراقه باليه مما خلفه

محمود من دراسته في السنة السابقة
،توجهت إلى المدرسة دون
أضع لقمة واحدة بفمي ، متحاشية أن
ألتقي بوالدي .

وقفت أمام سور المدرسة الشامخ
أنظر إليه ، هل فعلاً يستحق ماحصل
لي بالأمس .. هكذا حدثت نفسي
وأجبتها بربما .

ألتف حولي عدد من صبيان القرية
يسخرون من الجرح الذي يشطر
جفن عيني إلى نصفين ، بينما وقفت

أنت معاتباً لهم.. وهنا كان لقاءنا
الأول ياعصام ، بعد أن عنفت
الصبية ومنعتهم من التعرض بأي
أذى لي

اقتربت مني فشعرتُ أنك أخي الذي
لم تلده أمي ، كنت تكبرني بسبعة
أعوام تقريباً ، صافحتني وطلبت
مني أن نصبح صديقين فوافقت على
الفور ، لقد ساعدتني في أشياء كثيرة
بعدها ، وأظنك تتذكر هذا أكثر مني.

انتهى يومي الأول في المدرسة ولم
أشعر بذلك الشغف الذي ظننته أو
تخيلته ، وكل هذا كان بسبب الجوع

الذي يعصرني ، عصافير بطني لم
تهداً ،كنت أرأف لحال أمي فهي
تعمل طوال اليوم على وجبة واحدة ،
بينما توفر أي شيء تجده في طريقها
أو تحصل عليه من أجلنا .

فكرت في طريقة رفع العناء عن أمي
ولو قليلاً ، لا أريدها إن تتأذى بسببي
لا أريدها أن تجهد نفسها من أجلي .
لذا انتظرت أن يغادر التلاميذ حجر

الصف

. ونهضت كي أجمع فتات

الخبز الذي خلفوه ورائهم ، كنت
أسترق النظر بين الحين والآخر

حرصًا إلا يراني أحد فيسخرون مني

.

مرت الأيام في المدرسة على هذه
الوتيرة ، لا أنكر أنني كنت أسرق
الأقلام والدفاتر من حجرات
الصفوف الأخرى ، لكنني لم أسرق
المال والطعام ، بل كنت أجمع الفتات
من الصفوف و النفايات .

صدقني يا عصام وددت أن أعيش
حتى أنتقم من جشع والدي وعنفه
وبطشه ...

لقد حزت على المراكز الأولى طيلة
الأربع سنوات ، لم أتلق التشجيع من
أحد ولم يقف أحد إلى جانبي لأحصد
هذا النجاح ، لربما كان لعنف والدي
وضربه دور في ذلك النجاح الذي
حققته .. كنت الأكثر تعذيباً لإصراري
على التعلم وكان لأمي نصيب من
العذاب في كل مرة أتلق فيها هجوم
والدي وعنفه ضدي ، ذلك العنف
الذي نتعرض له دون مبرر .

دائماً ما كان والدي يحرص أخي
محمود علينا ، وها هو الآن يمارس
عنف والدي ويزيد عليه أحياناً ، أن
الشر يسري بدمه ودم أبي .

كنت الجأ إليك يا عصام في كل مرة
أعرض فيها لتعذيب ، كنت أتيتك
لتخفف عني دون أن أخبرك عن
سبب حزني،

أبق إلى جوارك في هذا الجبل او
على التبة القريبة من منزلنا واكتفي
بالصمت وأنت تمسح بيدك على
رأسي وكتفي ، لم تسألني يوماً عن
سبب حزني، تكتفي بالصمت والبقاء
إلى جوارى، وكان بقائك قربي
يكفيني.

..لقد كنت صغيرة لا أعرف من هذه
الحياة سوى العنف والطريق الوعر
المؤدي إلى مدرستي.

عندما وصلت الصف الرابع قلت لك
إن أبي لن يسمح لي بالالتحاق
بمدرسة

الإعدادية وأنا بهذا قد أتممت تعليمي
إلى هذه المرحلة ، وبقيت أحدث
نفسي سراً ..ليت والدي يموت ويأخذ
معه أخي اللعين ويذهبها للجحيم بينما
أنا سأذهب لأتم تعليمي وأحقق
أحلامي.

غادرت المدرسة في الثامنة من
عمرى حاملة معى خبىة جديفة فى
عدم قدرتى على الاستمرار بالإضافة
إلى خوفى مما قد يحل بى عند بقائى
أمام عين والدى طيلة النهار ،
ظننت أن العنف سىتضاعف ويزداد
ضربى وأنىنى وهذا ما حدث بالفعل .

...

لقد بعثت بأحلام شتى لكنى أتيت فى
الزمن الخطاء واستغفر الله عن
كلامى هذا ، لكن ما عسانى أقول وأنا
الذى جئت فى حاضر مجهض

للأحلام ، لكم تمنيت ولكم أخذت مني
الأحلام ما أخذت ، لكنني ما حظيت
بشيء من تلك الأحلام والأمنيات .

تحولت إلى مساعدة أمي في رعي
الأغنام والأبقار ، وفي أوقات فراغي
العب مع فتيات القرية ؛ وأصعد إلى
أعلى قمة هذا الجبل كي أقرأ بعض
الكتب التي كنت قد جلبتها معي من
مكتبة جارنا أبو عادل ، إنه رجل
عجوز ، طيب القلب ، يتبسم عند
رؤيتي ويمدني بالأمل والتفاؤل من
خلال حديثه معي ، عندما أنظر إليه
أشعر بحنان الأب المفقود مني ،

أتمني لو كان أبو عادل هو أبي .. أبو
هديل .. لكنت الآن أكثر سعادة من
بقائي مع هذا الخروف القابع في
منزلنا الذي لا يفيد بشيء.

قضيت شهرين على هذه الحالة .. منذ
أن تخرجت من المدرسة .. رعي
وحلب الأبقار إلى أن أصابتنى اللعنة
، لعنة الكبر المبكر ، لعنة الخوف ،
لعنة فقدان والخسارة ، لعنة الموت
البطيء ، لا أدري لماذا أنا يا عصام
اختارتنى الحياة لترمي بثقلها علي
أضعافاً مضاعفة ، أنا من بين هذا
الحشد الكبير من الناس ، من بين
هذا الزحام الذي يعم الأرض ، من

بين هذه التكتلات .. اختارتنى الأقدار
لتخدش بمخالبها على جسدي
الصغير.

أعلم أن عباراتي هذه تحمل قدراً
كبيراً من الأنانية، وأنني لا أتمنئها
لقلب طفلة ولا أرضاها بحق فتاه،
لكن ! لماذا ياعصام؟ لماذا أنا ؟
بتلك اللحظات بكيت كثيراً ، ذرفت
كل ما لدي من الدمع، أنا التي لم
أبكي يوماً عنف والدي ، لم أبكي من
أجل

أمي وخوفي من أخي ، كنت أقوى
من أن أسمح لدمعي بالنزول ، كتمت
حزني بقلبي ، رددت دائماً لن أبكي

وهذا ماكان يجعل والدي يزداد
غضباً ويبالغ في ضربتي ، لكنني أبدأ
لم
أبكي.

أما في ذلك اليوم المشئوم بكيت من
خجلي وذلي بكيت من العار الذي
لحق بي ، وأنا هنا في هذا الريف
المتحفظ الذي لايقبل بالفتاة الناقصة
، هنا فقط أقف لأبكي فأشعر أن كل
مافي الكون يبكي من أجلي .

عدا البشر ! أشعر بهم يقولون لي
أبكي فهذا الدمع هو المعزي الوحيد
لك ، زهور الأوركيد التي أهديتني

إياه مازال في يدي أشعر به يقول
لي لن تُجدي دموعك البريئة ياهدِيل
لن تُجدي.

قاطع حديثنا خيط الغروب فانصرفت
تاركة عصام مع نفسه.

مازلت أتذكر تفاصيل ذلك اليوم
أتذكر الأحداث كأنها اليوم ، مازال
الألم

يسري بجسدي .

كنت أسرق من الوقت

القليل على أعلى التبة بالقرب من
منزلنا لأنهي قراءة كتاب شهرزاد
كي أعيده لأبو عادل قبل أن تغرب
الشمس كما وعدته ، فجأة ! شعرت

بخطوات مكتومة خلفي ، حركة
بطيئة بين الأشجار ، ظننتها الرياح
فأدرت ظهري لأرى ظل أسود يقف
خلفي ،

أنه الرجل الملتئم ، خيل إلي
إنه الفارس الملتئم الذي قرأت عنه في
كتاب شهرزاد جاء لينقذني من لعنات
والدي وأخي ، لكن ! سرعان
ماسخرت من فكرتي هذه فقد رأيت
الشراسة في عينيه ، كان ينظر إلي
بخبت شديد يشبه خبت أبي وأخي.
أصفر وجهي وتألقت عينيه بعيني ،
ومرت برهة من اليأس والرجاء ،

أقترب مني فحاولت بفعل الغريزة أن
أهرب .. أهرب يا هديل هيا أهربي ،
هكذا حدثت نفسي لكن قدمي خانني ،
أنا لا أتحرك ، غمرني الصمت ولم
أستطع الكلام ، تجمدت أطرافي ،
و أصبحت جُثة هامدة

أمامه ، جسدي الصغير يرتعش من
شدة الذعر الذي انتابني ، وقف
أمامي لم ينطق بحرف واحد ، شدني
بشعري وكتف يداي إلى ظهري ،
ربط فمي بقماش أسود تفاديا
لصراخي ، نزع فستاني أو دعني

لأقول ! جردني من ثيابي ، وثبتني
بين فخذيهِ .

لا أسمع سوى لهاث أنفاسه ، يده
ترتفع وتهوي على جسدي تمر بكل
جزء منه ، لا أشعر إلا بالخوف
والخزي ، ألم مبرح...

سالت الحياة من بين فخذي خيطاً
أحمر ، لا

أستطيع الصراخ أو الحركة
ما أن فرغ مني حتى تركني كخرقة
بالية على أعلى تلك التبة بعد أن فك
رباط يدي وهرب بعيداً .

بصعوبة ارتديت ملابسني ، أنا لا

أستوعب الحادثة ، ألم و دماء ماذا
يعني هذا؟ ولماذا فعل هذا بي؟
أشعر بالخزي كلما تذكرت ذلك فقد
تعريت أمامه وكان هذا أول رجل
يلمس جسدي ، لذا بكيت كثيرا
ياعصام.

حاولت العودة إلى المنزل لكن الألم
منعني.. وليس الألم فحسب ! فقد
تذكرت وعظ أمي لي ..
أمي ياعصام لم تكن واعظة جيدة،
تذكرتها عندما قالت لي ذات يوم
ونحن في طريقنا إلى المدرسة.. إياك

ياهديل أن تسمحي لرجل بأن يمسك
بك أو تسمحي لأحد بان يتسلى
بجسدك ، وأن فعل أحداً ذلك فسوف
نذبك كما تذب الخراف .

ولك أن تتخيل هذا التهديد وأنا أعلم
جيداً كيف تداس أعناق الخراف عند
ذبها .

....

صمتت برهة من الوقت و
ارتشفت جرعة ماء كانت قد جلبته
معها ثم استرسلت حديثها منساب
صوتها الأنثوي الحزين إلى مسامع
عصام .

عندما أمسكني ذلك الملائم وفعل
مافعله عرفت مقصد أمي وها أنا
سأذبح كالخراف تماماً.

أضطرب فكري وتسارعت نبضات
قلبي ، الأرض لا تتسع لقدمي ،
المساحات لن توصل صرختي ،
سأتوه بالفضاء الواسع أن أنا أخفيت
ألم جسدي ، وقد أموت أن بحث
لأهلي.

ذرفت الدمع الذي كتمته ظلماً وقهراً
من أبي ، ذرفت الكثير فقد خسرت
اليوم جسدي ، غابت الشمس وحل
الظلام وعلي اتخاذ القرار..

هل أخبرهم بما حل بي؟ أم أخفي

ذلك وأعتبره سري؟

_ قررت الكتمان على البوح بعلمك
أن لأحد يصدقك أليس كذلك يا هديل

..
_ نعم ...

أخذت كتاب شهرزاد في يدي
ومشيت بصعوبة بالغة ، خطوة
بالشرق تتبعتها خطوة بالغرب من
شدة ألمي، بلغت المنزل ودون أن
يشعر أحد بي دلفت إلى داخل الحمام
كي أخفي آثار الجريمة التي لا ذنب
لي بها ولم

أكن على علم بأن هذه الآثار
سترافقني حتى تُكشف أمامي وأمام
غيري ، وأن صمتي وسكوتي عليها
ما هو إلا حمل ثقيل وكابوس مرعب
طيلة حياتي ، وأني

سأندم على قراري هذا ، أن أذبح
كالخراف خيراً من العيش كالنعامة !
أدفن رأسي في التراب كلما سمعت
بخبر رجل يتقدم لخطبتي.

استلقيت على السرير كاسفة، أقلب
في سقف الغرفة عينين غير
مستقرتين كأنهما الزئبقأفكر في ماقد
يكون هذا الزلزال الذي رجني من
الأعماق.

لم أعد لتلك التبة مطلقاً ، فقدت
الرغبة في القراءة أيضاً واللعب مع
فتيات القرية ، بت أخاف الخروج
بمفردي ، أخاف أن تشدني يد رجل
مرة أخرى ويتكرر ما حدث لي من
قبل ، كرهت جسدي وكرهت أيادي
الرجال من حولي ، أشعر
بالاشمئزاز إذا اصطدم بي رجل ، أو
رأيت رجل يحمل طفلة بين ذراعيه
وأن كان والدها ، ينتابني الغضب
وأشعر بها مستغلة مثلي ، بت أكره
كل شيء من حولي ، كرهت أبي
وأخي وذاك المثلث ، أنهم جميعاً

أعدائي ، أعداء الماضي والحاضر
والمستقبل لقد دمروا حياتي ، أشعر
من نظرات أبي وأخي الحاقدة أن
الملثم يختبئ بينهم أشعر أنه واحد
منهم لكنني أخاف أن أصرح بهذا فقد
يحين أجلي.

بعد مضي ما يناهز الساعتين أفرج
الغروب عن كلاهما ومضى كلا
منهما دون التفات للآخر في
طريق عودته إلى المنزل .

وجه فقد كل تعبير من كثرة الحزن
والدمع

_ أن معظم الأطفال ممن يتعرضون
للاغتصاب يلاقون حتفهم ، وأظن
أن هذا أفضل بالنسبة إليهم ، أما تلك
الفئة الناجية من هذا الاعتداء أمثالي،
فهم يتصنعون الحياة ، يتصرفون
دون عاطفة ، يتظاهرون كما لو

كان لم يحدث شيء، وكل شيء
بخير.

إننا نتفاعل مع شعور قوي من
الارتباك بين الحين والآخر، نفقد
القدرة على التركيز واتخاذ القرارات
ونواجه صعوبة بالقيام بالمهام اليومية
، نحاول التعايش مع الوضع والميل
إلى عدم التذكر، نلزم الصمت
والهدوء وكأن الاعتداء لم يؤثر علينا
البتة.

إن أسوأ ما قد يصيبنا هو الحيرة
والحساسية الحادة لردود فعل
الآخرين.

لم لا يعي ذلك المجرم خطورة ما قد
يرتكبه في حق الطفولة .. حق
الإنسانية تحديداً ..

لو أنه يضع نفسه مكان الضحية قبل
أن يقدم على طاعة الشهوة في
داخله .. لما انتشرت هذه الجريمة
بهذا الشكل ولم أكن ضحية لها ،
لقد أصبحت أكثر ميلاً إلى الوحدة ،
أقلعت عن الجلوس مع أفراد أسرتي
أو الذهاب مع أمي لزيارة أي فرد
من أفراد العائلة ، فقدت الرغبة في
الحديث والمجادلات التي كنت
أخوضها مع صديقاتي ، وباتت

إجاباتي مختصرة لأي سؤال يوجه

إلي.

خائفة أنا من أن يجرنني الحديث إلى
الفضيحة.

مقت نفسي كثيراً وكرهت وضعي ،
لم أعد أعلم ماذا أريد ، و ماستؤول
إليه حياتي ، الخوف وحده يتلبسني
من رأسي إلى قدمي ، الضجيج
يملئ رأسي ، أخشي أن تلتقي عيني
بعين محدثي فتبوح بسري أو ينوب
دمعي بالحديث فيكشف أمري.

أنه السر ! ثقيل .. ثقيل جداً على
صدرى يا عصام ها أنا أبوح به لك
ولا

أدري إن كان في بوحى قليلاً من
الصواب أم إنك ستضاف إلى قائمة
أعدائي، إذ فكرت أن تخبر أحداً بهذا
فأذبح كالخراف على مرأى ومسمع
من أهل القرية ، وينتهي أمرى...

مرت الأيام والسنون وأنا أتجرع
عنف والدي، تارة يضربني بسياط
حديدي وتارة

أخرى بأسلاك الكهرباء التي يتقن
بلفها علي شكل ضفيرة تشبه في
طبيها ضفيرة شعري ، كان يؤنّبني
بسبب أو دون سبب ، أن والدي
رجل مريض ويزيده الخمر الذي
يتعاطاه مرضاً فيكره وجودنا حوله
ويقوم بأداء دور الجلاد معظم
الأوقات ، ومنذ أن تزوجت أختي
رباب وغادر أخي إلى

المدينة ليتم تعليمه الجامعي وأنا في
الخامسة عشر من العمر بقيت وحدي
أتحمل غضب أبي الذي ينتابه دون
مبرر .

كبرت أنا حينها وصغرت أمي ،
فجاء دوري لأركع أمامها، أحميها
من كرات اللهب التي كان يصبها
علينا أبي.

ما أن يأتي الليل حتى أنفرد بذاتي
وأدعو الله أن يقبض روعي مللت
الحياة ومللت البقاء جوار أبي ، كنت
أؤمن بأن العقل يجذب إليه ما يريد
فكنت أنام وأنا أحاول جذب الموت
وانتزاع الروح المضمحل بداخلي ،
لكنني في كل مرة كنت أشعر أن أيام
عمري تزداد وروحي ترفض

الانفصال عن جسدي، أشعر أن
الموت تاه مني ..

يا لقسوة الرجل عندما يفكر أن يشبع
غرائزه بهذا العنف وبهذه الصورة
دون أن يفكر بالعواقب التي سيجنيها
غيره من تصرفه هذا ، إنه يسلبنا
الطفولة والفرح ، يسلبنا البراءة .
أصبحت أفقد الضحكة والبسمة
الصادقة ، أشعر أن كل شيء مكتوم
داخلي ، وأشعر أنه لن يأتي يوم تجدد
فيه أيامي وجسدي ، خسرت كل
شيء، خسرت حياتي .

أن العبت بأجساد الأطفال انتهاك
للبراءة ، أنها جريمة ياعصام ، ولكم
تمنيت أن

أحتضن أطفال العالم وأختزلهم بقلبي
وأخفيهم عن أعين الذئاب البشرية
الخبیثة.

صدقني ! لو أنني أرى ذلك المثلث
الآن بعد أن قوي ساعدي قليلا
وتماسكت أقدامي وأشدت جسدي
..لقطعته بأسناني وشربت من دمه
ولمررت به بين المباني وبين أهل
القرية ، لأخبرهم إن ها هو مغتصب
الطفولة جنّتكم به ، ذبحته كما تذبح

الخراف.. ومن شاء منهم من بعدها
أن يقضي علي فلن يهمني أبداً.
لقد سلبتني الطفولة كل شيء ،
وقضى أبي على أحلامي ، لم يتبقى
لي سوى قطعة القماش السوداء التي
رُبط بها فمي و زهور الأوركيد
الذابلة أحتفظ بها داخل صندوق
صغير .

أحتفظ بالزهور لأنها منك أنت ،
أنت الرجل الوحيد الذي لم أكرهه ،
أشعر قربك بالأمان ، أشعر بأنك
سندي ومصدر قوتي ، بالرغم من
أنك لم تساعدني حينها لكني لا ألومك
فأنت لم تعرف بما حل بي ، ولم

تسألني في الماضي لماذا أحاول
الابتعاد عنك كلما

اقتربت ؟ لما أصبحت جافة وجامدة
كقطعة جليد غير قابلة للذوبان.

لكنك أعطيتني الكثير خلال سنواتي
الدراسية وأنا لن أنسى معروفاً معي
أبداً فأنت صديقي الوحيد يا عصام .

بعد إن أنهيت دراستك في المدينة
وأنت هنا تلاحقني ، حاولت جاهدة
الابتعاد عنك فلم يعد لدي ما أعطيك
إياه الآن ، فقدت لذة الحياة المشتركة
منذ زمن بعيد ولم أعد صالحة

للاستعمال ، لن أستطع منحك أبسط
حقوقك التي ترحوها مني.

أعلم أنني سأفرغ من حكايتي هذه
فتدير لي ظهرك وترحل ، لكنني جل
ما أتمناه أن لاتدير لي ظهرك بينما
أنا أحكي ، فقد بدأت أبحر بسفينة
الماضي ، بعمق الحكاية ، ولا أريد
أن أغرق في منتصف البحيرة ،
دعني أصل معك إلى شاطئ الحكاية
سأحاول جاهدة أن أصيغ عبارات
النهاية.



أولئك الذين يكسرون قلباً فينتزعوا
سلامه ، كيف يسرون مطمئنين دون
الخوف من الله؟



*وعندما بلغت السن التي تفتح فيها
جسدي على الحياة وأصبحت أعي ما
يعنيه السر الذي تكفلت بحمله
بمفردي حتى بات لزاما علي أن أبالغ
في صمتي

*

...

ذات يوم اجتمعن فتيات القرية بمنزلنا
المتواضع ، اضطررت إلى الجلوس
معهن طاعة لرغبة أمي ، فهي دائماً
ماتردد على مسامعي أنني كبرت
وعليّ مجالسة الكبار كي يزداد فهمي
للأمور وإدراكي .

بقيت عاكفة في إحدى زوايا الغرفة
أنصت لحديثهن الممل أفتش في
الحديث عن إي شيء جديد أتعلمه
كما قالت أمي ، لكن ! لم أجد سوى
الملل يختزل حديثهن ، إلى أن
تحدثت فاطمة ابنة العم صالح ذلك
الرجل الذي ساعدني في الالتحاق
بالمدرسة ، قالت أنها ستعطينا

دروس تعليمية في الزواج ، أنها فتاة
جريئة لاتشعر بالخرج مما تقول ولا
تضحك أثناء حديثها ، صوتها يسمع
على بعد خمسة أميال ، كانت تتحدث
بأمور الزواج والجميع من حولها
يتبادلون الضحك والبعض من فئة
الأعمار الصغيرة تصيبهم الدهشة ،
وبعض الآخر يتناوبون في إلقاء
أسئلة عليها ، إلا أنا كنت لفرط
خوفي مما اسمع أتجرع كؤوس من
الأسى ، أنتفض مع كل كلمة تقولها ،
أشعر بها تشرح تفاصيل اغتصابي..
هل يعدون هذا زواجاً؟ وما الذي
يبحثون عنه في الزواج؟ وهل سلب

مني عندما كنت في الثامنة من
عمري؟ وهل فقدت قدرتي على
الزواج إذا ماتحتم علي ذلك . عن أي
عذرية فقدتها يتهافتون بالحديث عنها
؟

دارت بي الأرض ، حتى شعرت
بالغثيان ..

في ذلك اليوم تحديداً شعرت
بالخسارة التي خسرتها ،
لم أتماسك .. وتقيأت مافي بطني،
حاولت أن أتقيأ الفكرة من راسي لكن
لافائدة .

كما قالت أمي علي أنه أفهم أمور
الكبار، وهاقد فهمت يا أمي .
ليتني ذبحت ، ليتني لم أكتم الجُرم
بقلبي.

اجبني يا عصام لماذا يعلموننا نحن
الصغار بالترهيب والتخويف ؟ لماذا
لا يعطونا الحق بالجوء إليهم إذا
ماوقعنا في المصاب ؟ لما لا يقفون
معنا ويخلقون لنا المبررات كما
يخلقونها من أجلهم ؟
ماذا جنيت من صمتي وخوفي الآن ؟
يا ألهي ...

إن كُشفت ! فسأذبح كما تذبح الخراف
بالتأكيد ، سيدوسون على قدمي
وذراعي ويشدون رأسي للوراء ويتم
استئصال رأسي من جسدي.

أن طرق الموت كثيرة لكن النهاية
واحدة ، والتفكير بالموت يؤرقني
كثيراً ، أنا أخافه .. أخافه جداً وأن
كان لأبد منه فأنا أفضل ميتة شريفة
كأي

إنسان وهذا أبسط حقوقني.

قلت كمن يفكر ويتسأل بصوت

مسموع:

_ هل ما أقوله صحيح يا عصام أم
أنني أبالغ في سرد حكايتي وأهول
القضية؟

أجاب بصوت محشو بالألم
_ أكمل يا هديل فلا أظنك تبالغى .
_ لقد ولى زمن البراءة يا عصام من
يصدق هديل من ! أخبرني؟
_ أنا أصدقك يا هديل .

**

استيقظت في صباح اليوم التالي
تنتابني رغبة في قراءة أبيات من
الشعر , توجهت إلى مكتبة العم أبو
عادل الذي رحب بي ما إن راني
وقبل أن اطلب منه بادرني هو
بالحديث :

- _ خذي ما شئت من الكتب يا ابنتي .
- _ جزيت خيرا أيها العم الطيب .

أخذت من رف المكتبة كتاباً بالصدفة
لأقرأ الشعر بين دفتيه وإذا به كتاب
بعنوان (أعدائي كلهم أنا) سرت
قشعريرة بجسدي , هل يصفعني
القدر مرة أخرى أم انه يعاتبني ,
ربما أنا

عدوة لنفسي لكني لست جميعهم ,
فهناك الكثيرون ممن هم حولي ..
رغم ذلك فقد تشوقت للاطلاع على
هذا الكتاب فأخذته متوجه به مع
الخراف إلى مسكني و ملجأ أسراري
, جبل الأسرار و ثراه الذي يتكفل
بتجفيف دمعي , جلست هناك أتزود
الشعر والنصوص واشبع رغبتي .

**

في السنة الماضية أي عندما بلغت
السابعة عشرة من عمري تقدم ابن
عمتي سلوى لخطبتي ، إن العمّة
سلوى أخت والدي ، لاتشبهه في
شيء إنها لطيفة جداً للحد الذي لا
يصدق أنها أخت أبي ، ليس معي
فحسب ! بل مع جميع سكان القرية .
جاءت إلي مبتسمة ، لم أشعر أن
ابتسامتها تلك ماهي

إلا تمهيد لغاية مرجوة في نفسها.
بدأت تحكي لي عن ابنها الوحيد إياد
وكأنني لا أعرفه ، حكيت دراسته ،
عمله وأخلاقه ، تحدثت في كل شيء
وعن كل شيء ، لم أكن بحاجة
لشرحها ذاك ، فأنا أعرفه حق
المعرفة أنه لا يختلف عن أمه ، فهو
لطيف ومهذب مثلها تماماً وهو
شخص موهوب ومثابر..

صمتت قليلاً لتفجر قبلة الحدث في
وجهي..

- إن إِيَادِ يَرِيدُكَ لِلزَّوْجِ يَا هَدِيلُ فَمَا
هُوَ رَدِّكَ؟

كَلَامَهَا تَنْزِلُ عَلَيَّ وَجْهِي كَالْجَمْرِ ،
ثَقِيلٌ عَلَيَّ قَلْبِي كَالصَّخْرِ ، فَجَرَّ رَأْسِي
.. طَرَحَنِي أَرْضًا ..

لَمْ أَعِدْ أَشْعُرُ إِلَّا بِرِذَاذِ الْمَاءِ يَتَطَايَرُ
عَلَيَّ وَجْهِي وَصَدْرِي .

- مَا الْخَطْبُ يَا هَدِيلُ أَفِيقِي .

جَاءَ صَوْتُ الْعَمَةِ سَلْوَى مُتَقَطِعًا مِنْ
شِدَّةِ خَوْفِهَا عَلَيَّ عُرُوسَ ابْنِهَا .

فَتَحَتْ عَيْنِي ، شَعَرْتُ بِدَمْعِي يَتَسَلَّلُ
إِلَى الْخَارِجِ هَارِبًا مِنِّي ، عَيْنَاهَا
مَحْمَرَتَانِ ، يَبْدُوْنَ قَلْقَهَا وَاضِحًا عَلَيْهَا ،

إن ينابيع الإنسانية مازالت تتفجر
بداخلها.

- قلبي حزين عليك يا هديل.

هكذا حدثت نفسي دون أن تسمعني،
أنا لا أستطيع أن أشرح لها شيئاً عن
تفاصيل حياتي ، لكن الأمر هذا إذا
بلغ مسامع أبي قد ينتهي أمري
وأصبح أسيرة لهذا الزواج .

أعادت العمة سلوى سؤالها ما خطبك
يا هديل؟

_ لا شيء يا عمتي مجرد دوار
سيزول سريعاً.

يقولون

لَا يَخْطُرُ فِي بَالِ الصَّادِقِ أَنْگُ تَكْذِبِ

،

كَمَا لَا يَخْطُرُ فِي بَالِ الْكَاذِبِ

أَنْگُ تَصْدُقَ ، كَلَّ يَرَى نَفْسِهِ فِيْگِ .



حدث ما حدث وانتهي كل شيء ،
وبدأت ترتيبات الزواج وتم كل شيء
في الميعاد المحدد له .

الجميع من حولي سعداء ، يباركون
زواجنا ويهنئون ، وأنا أقف كالبلهاء
.. أنتظر اللعنة ، أنتظر الفضيحة ،
أنتظر صراخ القرويين من حولي،
هديل فعلتها ، هديل العار ، هديل
الفضيحة.

كنت أنظر إلى عين أمي .. ألومها

في سري ، أعاتبها على سوء وعظها
لي ، شجعتني علي الدراسة
وتوعدتني بالذبح كالخراف و
كالدجاجة.

لماذا يا أمي لم تحرري قيودي
وتمدني بالقوة كي أخبرك دون أن
أخشى شيء ؟ وبعدها لتفعلوا بي ما
شئتم

اقتربت مراسيم الزفاف كنت أدعو
الله ليل نهار ليكون هذا الأبيض كفن
لي ، ليكون آخر أيامي ، لافائدة

مرجوة من بقائي ، ولاذنب لي فيما
حدث معي.

لتنتهي هديل يا إلهي وتختفي ، لا
أريد الفضيحة ، لن يصدقني أحد
سواك .. لأنك تعلم وترى
ما حل بي.

بت أصحو كل يوم بقلب ميت وجسد
يتحرك ، جسدي يرجف كما رجف
وأنا في قبضة الملثم ، أشعر بضعفي
وقلة حيلتي أنا أضعف مخلوق على
هذه الأرض إذ أنني لا
أستطيع الفرار بجسدي.

لم يكن لدي قريب أو صديق
يشاركني رعي ، يقاسمني همي ،
يحفر لي قبر ويخفيني .

حتى أنت يا عصام لم تكن بوقتها
موجوداً بقربي ، أنا وحيدة والناس
متكتلة من حولي .

أنا عروس ، وإياد هناك ينتظرنني .
ترددت طويلاً ثم بدأت أستسلم للعجز
والضعف ، فتناولت زجاجة السم
التي أحضرتها خصيصاً كي أقضي
على حياتي ، وقفت على الحد
الفاصل بين الحياة والموت ، كنت
أرجح الزجاجاة بيدي ، أزداد

الصراع بداخلي ، أخذت مشاعري
تتجاذب زجاجة السم ، فتشجبت
أصابعي على الزجاجاة القاتلة ونزل
محتوها المر على فمي.

مهما بلغ لطف إِياد وتهذيبه لا أظنه
سيصدقني ، لم يبقى على الزفاف
سوي ليل واحد ، كدت
أتلاشى من الهلع وكدت أفقد عقلي
من التفكير.

السم لا يؤدي مفعولة عليّ إنه لا يؤثر
بي.

لقد مات السم في جسدي..

يا ألهي كم أنا قوية ، قضيت على
السم دون أن أشعر أو أعي ،
بالسخرية القدر ، ما الذي تريده
الحياة مني وما الغاية من بقائي ..

الساعة تشير إلى التاسعة صرخ
الجميع من حولي لقد مات إياد ابن
عمتي ..

لقد أخطاء السم طريقة ، لم يكن إياد
هدفي ، لست أنا من قضى عليه
، لكنها لعنتي .. من أراد القرب مني
مات قبل أن يصلني .

هاقد مات السم ومات إياد بسببي.
إنا اللعنة.. سأسلب روح كل شخص
يفكر باقتنائي.

هذه العبارة رددتها ما بين دمعة على
وفاة إياد وضحكة ساخرة على
نجاتي.

توفي إِياد بحادث سير بينما كان
يجلب فستان زفافي من المدينة ، لقد
صبغ دمه بفستاني الأبيض وهكذا
تزوج دم إِياد بفستاني.

الجميع حزين من أجلي فقد فقدت
عريسي المنتظر ليلة زفافي ..

بينما كنت أسجد شاكره لربي لأنه
حررني من جديد وأطلق سراحي.
مرت من بعدها حياتي في صراع
كالعادة .

إلى أن عدت ياعصام حامل بيدك
شهادة طبيب

أطفال ، تغمرك السعادة ، سكان
قريتك يفتخرون بك ، أنت أول طيب
تنبت من بينهم ، أنا أيضاً سعيدة من
أجلك يا عصام لكن علينا أن نبقى
بعيدين عن بعضنا .

أشعر بالنقص وأنا بينكم ، أشعر
بأنني مختلفة ، شيء ما قد سلب
مني ، أنا مزهرية فارغة لا تحمل
في جوفها إي زهرة ، أنا وردة ذابلة
مرمية على قارعة الطريق لن تعود
لها الحياة وإن سقيت بماء البحر ،
أنا سفينة غارقة وسط محيط !
لاستطيع فرق الإنقاذ انتشار بقايا

الأرواح من داخلها ، أنا هديل
التائهة، هديل تلك الخرقة البالية ،

هذه أنا يا عصام .. هديل

باختصار .

توقفت هديل عن الحديث عندما

لحظت شرود عصام

فقال بصوتها الرخيم وكأن روحها

العذبة تنساب من فمها .

حل الغروب وأنا ما زلت هنا أتحدث

بتفاصيل أحداث ماضيه .

ماضٍ لن تغيره الكلمات أو الدمعة

الساخنة .

لكن ! لماذا تلزم الصمت يا عصام ؟
لماذا أشعر بأنك لوحة ألوانها باهته،
أين حبك للكلام والدفاع عني !

لماذا لم تنتعت الملتئم أمامي ؟ لماذا لا
تقل أي شيء ؟ قل أننا سنبحت عن
الملتئم وتنتقم لي منه وتعلن أمام
الجميع براءتي ، لاتبق صامتاً
كتمثال يا عصام وقل شيئاً؟

خفف عني بحديثك. وضمني إلى
صدرك فقد أنطفأ سراج الشمس
وتغلبت الظلمة...

بيروي عصام...

جلست هديل بقربي في خشوع تتأمل
منظر الغروب بعد أن فرغت من
سرد الحكاية , متجاهلة وجودي ..
شيء ماء في عينيها يلمع اقتربت
منها فاستسلمت لحضني وأطلقت كلما
لديها من الدمع وحشرجة بكائها تكاد

تخنتني , لم تكن هديل بهذا الضعف
فقد استمديت منها قويتي في أعوامها
الأربعة الدراسية قبل وصولها الثامنة
من العمر رغم ما لاقتة من عنف
وقسوة .

هالة بيضاء تحجب هديل لزمن
طويل وهذا ماجعلها
أقرب للسماء منها إلى الأرض ,
تفوح منها البراءة , وبعد ثمانية
عشرة عاما لا أجد أمامي سوى هديل
ابنة الثامنة الفتاة القاصرة التي
عاقبتها الحياة في ذلك العام دون أي
ذنب يذكر

بين الحضور والغياب مسافة لا

أعرف اسمها لكنني أظنها الخذلان .

صوت يخرج من عمق البحر
ويخرج هديل من عمق الرواية التي
ثرونها .

- لو إنني لم أكن أحد أعدائكِ لفعلت ،
إن الاعتذار ليطول والوقت كما قلتي
يمضي لا ينتظر أحد .

أنا لست صديقك يا هديل .. أنا

أخاك الذي ولدته أمك .

لأستغربي فهذه الحقيقة ..

فبعد إن توفي والدي وأنا في الثالثة
من العمر عادت أُمي

(أُمنَا) أرملة إلى منزل والدها الذي
يسكنه أخوتها الأربعة مع زوجاتهم ،
لقد تلقت أبشع أنواع العذاب ، لم
يحتمل وجودها أحد ، فالأرملة
والمطلقة منبوذتان على حد سواء في
مجتمعنا هذا أو في ريفنا تحديداً ،
وما أظن صبرها على قرف والدك
إلا خوفاً من هذا الجحيم الذي عانتته
في الماضي ، وخوفاً من العودة إليه

عندما تقدم والدك للزواج منها وافقت
على الفور كانت تظنه طوق للنجاة
مما هي فيه .. وبعد مضي ثلاثة أيام
من زواجها ، لم يحتمل ذلك الزوج
مكوثي معهم فأخذني إلى منزل أحد
أصدقائه في القرية المجاورة ،
تركني هناك ومضى ، ظننت بأنه قد
نسيتني وأنه حال ما يتذكر سيعود
لأخذي لكن ! عبثاً كانت ظنوني ،
لقد مرت السنين ولم يأتي أحد
لأخذي.

عندما بلغت العاشرة قال لي الرجل
الذي قضيت عمري معه أن والدي
أشاع في القرية غرق في الوادي

عندما كنت في الثالثة من العمر ولم
يبحث عني أحد حتى أمي.

كرهت أمي حينها وعشت حياتي
بدونها، ولم أفكر يوماً بالبحث
عنها. صمت قليلاً قبل ان يسترسل
قائلاً..

مازلت أتذكر لقائنا الأول عند سور
المدرسة ، نظرت في عينيكِ
المصابة فتملكني شعور بالشفقة
تجاهك وتذكرت الصفحات المتتالية
التي كانت تتلقاها أمي ، شعرت
بالحزن تجاهكما .

لكن عندما تملكنتني الرغبة لأفعل ما
أفعله لم أكن على علم حينها أنك
أختي ، صدقيني يا هديل لم أعلم ولو
أنني علمت هذا ما اقترفت ذلك الذنب
معك .

لقد علمت بالحقيقة هذه من العمّة
سلوى ، أخبرتني بها عندما كنا في
المدينة ، فمنذ أن توفي أبنا إِيَاد
هجرت القرية مع زوجها ومكثا في
المدينة ، لقد حكّت لي من أنا ومن
أنت ومن هي أُمنا ، شعرت بالخزي
والعار ، وجئتُك أرجو عفوكم
وأتوسل إليك ، اعذريني يا أختاه فإن

حملي ثقيل وساقى ضعيفتان وها أنا
اركع عند قدميك ففعلي بي ماشئت.
كادت دهشة هديل مما تسمع تخطف
انفاسها .. ارتعدت للحظات قبل ان
تخرج من قلبها هول الصدمة على
هيئة كلمات . انت الملثم يا عصام .

- ولو لم أكن أختك هل ستفعل بي
ما فعلته؟

- صدقيني ياهديل أنه حب التجربة
من يدفع بالفتي لهتك عرض طفلة
بريئة ، ما أن يصل إلى المرحلة
الإعدادية وتقذف بالكتب العلمية إلى

يديه ، حتى يحاول أن يجرب ذلك
بنفسه ، شغف التجربة وقلّة الوعي
بالمسؤولية ، هما من يدفعن بالفتى
لتلك الجريمة .

لم يكلفني بذلك المعلم ولم تكن تجربة
إجبارية على جميع الطلبة .. يكتب
نتائجها كبحث علمي ويسلمه في
اليوم التالي ، لقد كانت الرغبة
موجودة بداخلي ولم أستطع أن
أكبحها .

كنت أتفرس جسدك

الصغير بعين خبيثة ، لكنني لم أجد
الطريقة لمرأوغتك فقد كنت مدركاً

لصغرك وعدم وعيك لمثل هذه
الأمر التي كنت قد فهمتها للتو ،
إلى أن مررت ذات يوم قرب منزلكم
سمعت

عويل والدك وهو يقذفكم بشتاالسباب
والكلام البذيء ، سمعت بكاء والدتك
وأصوت

أنفاسك الخائفة ، شعرت حينها
أنك فريستي المناسبة ، فلديك أسرة
عمياء بخبثها غير مبصرة ، لن تمد
لكي يد العون إن

صرختي وبكيتي وقد يحملونك
مسؤولية جرمي .

بالرغم من أنني كنت
على علم بأنك تعتبريني
أعز أصدقائك وتثقين بي ، لكنها
الشهوة ، الرغبة كانت أقوى مني ،
كنت ذئب جائع ، ووحش مفترس لن
يهدأ حتى
يأخذ ما يريد دون أن يحسب العواقب
الوخيمة التي سيخلفها بعده .
لقد قضيت عمري أحترق بنيران
تأنيب الضمير ،
لم أنم يوماً ولم أذق
طعم للراحة إلى هذه اللحظة ، بقيت
أفكر بك ، كنت أنظر الحزن

والكتمان بعينيك ، شعرت بأنك
كبرتي قبل وقتك ، فقدان الرغبة في
اللعب والخوف المسيطر والهم الثقيل
جميعها تربعت على عرش قلبك ،
وكل هذا بسببي ، اعتذاري لن يجدي
نفعاً ، أعلم هذا ، عباراتي رتيبة
كحياتي ، أنا حزين يا هديل وأمقت
نفسي والعنها ، لقد قذف بي القدر
لأدرس طب الأطفال لأعوض
الطفولة ما اقترفته بحقك منذ زمن
سامحيني يا هديل ، جنّتك منكسر
القلب ، غارق بالأسى ، أرجو
عفوك وأطلب منك

أن تسمحي لي بأن أصحح خطئي
معك، سأحاول حمايتك وتعويضك
عن الخوف والحرمان والأسى الذي
لحق بك، وأن أبيت ذلك وحرمتي
مغفرتك فإن مغفرة الله لن تنزل علي
، لن أستطع أن

أكمل حياتي، لا طاقة لي بالنظر في
عينيك، سأنتهي حياتي يا هديل إن
أبيتي، سأقذف بهذا الجسد اللعين من
أعلى الجبل ولن تريني،

أرجوك يا هديل اغفري لي زلتي
وجنوني، دعيني

أساعدك عما اقترفته من ذنب معك يا
أختاه، أرجوك

ارحميني..

تحدثت هديل وبحة الحزن يكسر

صوتها :

_ يا حسرة على الزمن الضائع الذي

نحاول جاهدين استعادته لنصلح ما

أفسدته الأيام .

ولكنني أحببتك، رغم كُرهِي

لِلْعَالَمِ ❏

خيم صمت ثقيل أثقل من أن يؤثث
بأنفاس مرتبكة ونحن عيون عالقة
ببعضها نحاول نفي الحقيقة .

بين الصخور والخراف المتناثرة
تنهيدة عميقة تصدر من أعماق هديل
الباكية تليها تنهيدة عصام وروحة من
الخزي مضمحلة تالفة .

الآن حصص الحق وأصبحت
الحقيقة جليلة

_ عندما بلغت من العمر ما يجعل
مشاعر الفتاة تميل إلى قلب رجل
كلما بصرتك عيناى طمعت فى
حديث يروض الرعب والحزن معك
أطمع فى حديث بومىض من الحب
بإحاطة ذراعىك حولى وحمايتى من
أى أذى يواجهنى لكن .. لكنك من
تسبب فى أذى.

_ أنا فى ظلام من دنياى ، لم تشرق
علىّ شمس ولم يحينى شعاع ، أنا
سر كان يجب ألا يذاع ، أنا حروف
مبعثرة لاتصاغ ، وكلمة

مالها في السطر أتساع ، جملة
مبهمة لامفهومة ولا واضحة ، أنا
علة على مائدة الوجود ، إن بحث
بسري فسأرى الناس يرموني
ويتناقلون عني الكلام ، وإن صمت
فلا أدري إلى متى سيستمر صمتي.

مقتبس..."

- لا ياهدل ..

أفرضي على الناس وجودك فما أنت
مذنبه ولا جانية ، أنت روح طاهرة
، أنت ساعة توبة بعد اقتراف
الخطيئة ،

أنتِ دَمعة ندم ملؤها حرارة
وغزارتها طهارة ، أنتِ هفوة عابد
ماحسبت في السيئات ، هذه أنتِ
ياهديل فلا تحزني.

وأنه ليحزنني أن أقول أنا هذا الكلام
بعد أن

كنت الجاني.

- بحثت في وجوه أهل القرية أكملها

عن وجه خبيث لكني لم أجد.

بحثت عن فتى جبان لا يقدر إلا على

طفلة لكني لم أجد.

بحثت عن الدليل الذي يدعي الشهامة
فلم أجد.

بحث يا عصام لكني لم

أسمح لنفسي بالنظر إلى عينيك ولم
أجعل الشك يتسرب إلى داخلي.

طال بحثي وطال صبري وانتظاري
، زاد حنقي وتفاقت رغبة الانتقام
بداخلي ، كرهت الجميع ، كرهت
الرجال ، أبي وأخي والملثم أو لنقل
الآن عصام ونكشف عن وجهك اللثام

.

أسرتي لم يكن لها القدرة لتحميني ،
جاؤوا بي إلى الحياة غير قادرين

على رعايتي ، لم يقف أحد بجواري
، هم جهلة مثلي وسيحملونني ذنبك
كما حملت نفسي، ولزمت الصمت
وسمحت للخوف أن يتسرب إلى
نفسي.

خدشت بمخابك على وجهي و جسدي
، على حياتي وكرامتي، وجئت الآن
كي تحميني ، أنت يا عصام !
أنا لا أصدق .. لو أنك قلت شيء
آخر غير الذي سمعته للتو ، لو أنك
قلت سأبحث معك عن الملثم وأقتص
منه لك .

قل أن كلامك غير صحيح قل إي
شيء آخر ، لاتبكني يا عصام ، لا
تكن ضمن خيباتي ، أنت يا صديقي
أقصد يا أخي ..لم تفعلها أرجوك قلبي
لا يحتمل الدعابة .

لماذا تلزم الصمت؟

بالدناءاتك يا عصام ، وتدعي
تأنيب الضمير ! مثلك لا يشعر
ولا يتألم ، مثلك لا يستحق الحياة .
لما طلبتني أن أحكي قصتي وأنت من
أسسها ، أنت مؤرخ أحداثها وشاهد
على أهم التفاصيل بها ، أنت من

رسم

معالمها وزاد من عمق ألوانها
قتامة ، وجعلتها بالغة الأسى .
هل كنت تظن بأنني قد أنسى! لا لم
أنسى .

كيف لي أن أمزقك الآن وأمر بك بين
الأهالي.. لقد كنت أعز صديق لدي
والجميع يشهد ذلك من يصدق هديل
الآن ومن يكذب الطبيب عصام
أخبرني !!

كيف سأروي عطشي من دمك أيها
الطبيب؟

طبيب الأطفال .. الملاك الكبير
..منقذ الطفولة كان في يوماً مغتصبها
، لقد درست الطب.. وطب الأطفال
تحديداً ليزيد قربك من الأطفال
ويصبح الانتهاك على أجسادهم
أسهل بالنسبة إليك ، لن تحتاج لقماش
أسود لتفادي صراخهم ، لن تكتف
أيديهم ، سيأتونك
مكتفين بذاتهم يرجون
مساعدتك وترجوا محقهم .
أنت مثير للشفقة وقد جئت تطلب
المستحيل مني.

وبعد أن حل المساء و غابت الشمس
في الأفق ،وأعلنت القمر بداية ليل
جديد ، عليك أن تغيب دون عودة،
لتذهب للجحيم لاحاجة لي بك منذ
الآن ، أن الأرض لاتحتمل أمثالك ،
الدم الخبيث يسري بعروقك ، لتنتهي
حياتك كما أنهيت حياتي في الماضي
، ستبقى الذكريات شبح يلاحقني لن
أنجو منها مهما فعلت وكل هذا
بسببك .

ـ لقد كنت بحاجة ماسة لهذا العتاب
كنت محتاج لأبكي .. عل الدموع
تظهرني من ذنبي ،

اصفعيني ، أو اطرحيني

أرضاً ، أنا أستحق هذا ، خذي بثأرك
مني يا هديل ولتريحي ضميري ، أن
طبيبتك الممزوجة بالملك توجعني
كثيراً ، وبعد

إن عرفتني أني من خرم حياتك لا
تريدون أن تنتقمي مني .. يا لعظمتك
يا هديل ، أنت لاتستحي حياتك
البائسة هذه .

_ لا اعلم ما الذي كان يتوجب علي
حينها هل أحياء دافعة روعي في
سبيل البحث والانتقام أم أحياء كيفما

توجبت علي الحياة والمضي فيها ,
لكنني قد عشت كل لحظة بمجمل
تفاصيلها إلى أن وصلت إلى ما أنا
عليه الآن .

قطع الحديث كلاهما وهبطا من اعلى
الجبال كلا يحمل على اكتافه ذعر
وخيفة مما صرحا به .

عادت هديل مكبدة بالالم حاملة معها
خيبة جديدة وبعد ان كان رفيقا وربما
حبيبا في المخيلة جاء ليعلن لها انه
اخا , لا وبل مغتصبها أيضا . لم تطل
التفكير في تلك الليلة كثير فقد غابت
في حلم سئ ليس اسواء من واقعها

بشئٍ فقد رأت عصام يناديها من
أعلى الجبل ويطلب عفوها قائلاً
أودعك يا هديل فأنا راحل قبل أن
يغيب القمر، سامحيني.

—

الأشياء ليست دائماً كما تتراءى لنا
والحقيقة وجوه مخفية .

جلست مرتبكة بين اغصان النخيل
قرب المنزل والغروب يلفني بحمرة
دافئة وإذا بروح صغيرة تبعث في
أعمالي وتباغتني بالسؤال هل أنتِ
راضية بعدما هوت روح عصام في
الهاوية .

لم أجد ما أريد به لكنني كنت اشعر
باني قاسية , فقد توقفت دمعتي عن
النزول وأصبحت بين جفني عالقة ,

جسدي لا يتحرك ولاشي يغزو
ضميري فاشعر أنني مذنبه أو راضية

.

غابت هديل عن الواقع للحظات ربما
غفت قليلا لتصحو بعدها وترى
عصام يقف امامها مباشرة ثم يطلب
منها الصعود لاعلى الجبل

ترفض النظر في عينيه ترفض
الصعود معه ايضا لكن الحاحه
واصراره جعلها تذهب معه وهي
مكبدة بالالم والخيبة.

يقف عصام في اعلى قمة الجبل
امامها وهي واقفة خلفه تمام

لم يفتر ثغره عن اي كلمة ..

ساد صمت طويل حتى بدأت

هي الحديث

..قائلة له..

لقد انهيت سرد الحكاية

حكايتي انا او ربما حكايتنا معا فما

الذي دعاك لاستدعائي الى هنا ..

لم يعد لدينا مانقوله

لقد استنزفنا جميع الكلمات لدينا.

لم يرد عصام على حديثها واصر

على صمته.

همت هديل بالنزول فالتفت مغادرة

واذا بها تسمع عصام

.. يصرخ ويهوي

من اعلى الجبل كما رآته في الحلم

الليلة

الماضية

. وقفت تنظر اليه بدهشة بالغة لم

تصدق ماتراه عينيها عصام

يكفر عن ذنبه بذنب آخر

.. لو انه لم يقدم على الجرم منذ

البداية ماستدعتة الحاجة الى

الخلاص من روحة لنجاة من تأنيب

الضمير والغرق في اعماق الجحيم

كانت تردد خلفه قائله .

صراخك وأنت تهوي

أمام عيني من أعلى هذا الجبل لا
يوألمني ، رحيلك وألمك ، ارتطامك

بالأرض لم يؤثر بي ، فقدت
إحساسي بسببك ، لن يجمعنا تاريخ
على سطح هذه الأرض ، ولن يبقى
الوقت من

أجلنا وان عرف الناس حقيقة عصام

فلن تبقى عنك راضية

لقد انتهى أمرك وبقي

أمري لينتهي ، أنه الوداع يا عصام ،

لكن إياك أن تظنها

النهاية ، سنلتقي هناك في السماء
السابعة.

سأبقى كما أنا جثة على قيد الحياة
وتبقي أنت جثة تسكن باطن الأرض
، وغداً سأرمي زهور

الأوركيد الذابلة على روحك وأبلغك
معها السلام ،

لم يعد يجدي الكلام ، لقد ماتت

الأحرف وجف حبر الكلمات ..

وهاقد أصابتك لعنتي وامت كما مات

إياد ومات السم في جسدي ، لك

الموت والراحة ولي

الحياة والتعاسة

ومرت الايام صباح تلو صباح لم
يتغير في حياتها الا تفاقم الالم في
صدرها.

كرست ايامها لتعليم الصغار
وتوجيههم خاصة الفتيات.
وحرصت كل الحرص على ذلك
وكانها رسالة ربانية تكفلت هديل
بحملها
..وهي تعليمهن وحمايتهن من الاذى
ومن خبث الذكور من حولهن
..احتضنت جميع اطفال القرية
واصبحت الام الموجهه والناصحة

ومرت السنون بهذه الوتيرة الى ان
حل صباح الفراق .

صباح لم تنذر بدايته بشيء حتى
الشمس بقت غائبة في الأفق بعيدة
عن العالم , الضباب يلف

المكان يغطي

الهضاب والجبال والوديان , تجر
هديل خطاها نحو الجبل كالعادة
لتطعم خرافها برفقة كتاب يقضي
معها عزلتها لكن الألم الذي اغتالها
بالفترة الأخيرة أصبح يتفاقم كثيرا
إلى أن أصبح شيء يصعب علاجه
فقد تلفت عضلة القلب تماما ففقدت

القدرة على الحركة في أعلى الجبل و
خارت قواها و

علت روحها فوق المباني العالية
تخترق السحاب وصولاً إلى السماء
واحتضنت الأرض الطيبة جسد هديل
النحيل واقفل القبر على باب الحكاية

.

هكذا تنتهي قصة هديل ومثل هديل
الكثير ممن مازلن يلتقطن أنفاسهن
على سطح الأرض ولم تحالفها المنية
إلى سكينة مرجوة أبدية فرفق
بالطفولة وكل الرفق بالأنوثة

...

ختاماً

لا شك أن الاغتصاب هو من
أكثر الجرائم بشاعة على مدى
التاريخ والأزمنة وأخطرها فداحة
بحق الضحية ذكوراً وإناثاً، ومع
مرور الزمن تبين أن النساء أكثر
عرضة للتحرش والاعتداء الجنسي
والبدني والنفسي وبخاصة الأطفال أو
بلفظ أعم الفتيات في سن مبكرة ..

فهنا وهناك تكمن الجرائم الفعلية التي
ترتكب بحق النساء دون أن يدري
أحد أو لا يتم الإبلاغ عنها وفقا
للرابطة الصحية الأمريكية وذلك لأن
أغلب الضحايا يعتقدون أنها مسألة
شخصية وخاصة في المجتمعات
المصبوغة بالطابع الديني أو فنقل
بين المجتمعات العربية خاصة
والإسلامية بشكل عام .. ولكون
خمسة وتسعين بالمائة من حالات
الاعتداء الجنسي هي مرتكبة من قبل
أشخاص معروفين أو أقارب للضحية
أو المعتدى عليها جنسيا فإنه من
المستغرب خوف الضحايا من

عواقب الفضيحة أو العقاب مما
يسبب الإلجام عن تقديم بلاغ ضد
أشخاص يعرفونهم أو يربطونهم
بصلة ما , فيضطر

أغلب الضحايا إلى الكبت والكتمان
وتجرع الويلات والعذاب بصمت
بالغ .

معلومة ...

عواقب الاعتداء جنسيا .

- متلازمة صدمة

الاغتصاب: صدمة نفسية يعاني منها

ضحايا جرائم

الاغتصاب . تشمل

اضطرابات السلوك الجسدي
والعاطفي والمعرفي بين الأشخاص
العادية.

صدمة الاغتصاب تحمل معها
علامات شائعة لمعظم ضحايا
الاغتصاب بعد أشهر أو سنوات من
الاغتصاب.

كذلك يعاني الناجي من الاغتصاب
من

اضطرابات الهاجس الحاد
(الأعراض البدنية مع عدم وجود
سبب محدد).

التفاعلات الفسيولوجية مثل صداع ،
توتر ، تعب .

كذلك الشعور بالوجع أو ألم في
الصدر والحنجرة بالإضافة إلى
المناطق التي تم الاعتداء عليها
بالجسم .

كعوامل خطر يمكن

إدراج حالات صدمات نفسية سابقة .
(مثل تكرار التعرض للإساءة
والاعتداء في مرحلة الطفولة) أي
صغر السن .. فإن أعراض الكآبة
لديهن أكثر ،

وتأتي الحالات التي وصف فيها
الاعتداء بعد كل ذلك فتشكل عند
المصابات فيها أعراض مرضية
شديدة

/السبت. سبتمبر. 2017

ليلي العامري

اليمن .